

قصص القرآن

سبل الغرم

ريشة: مصطفى حسين

قلم: أحمد بهجت



دار الشروق

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الطبعة الرابعة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعتمد عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيدي بويه المصري -

رابعة العدوية - مدينة نصر

ص. ب. ٣٣ البانوراما - تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني: dar@shorouk.com

قصص القرآن

أسباب الأخذود

ريشة: مصطفى حسين

قلم: أحمد بهجت

دار الشروق



الفرس مثل سهم من
البرق .

راح يلهب ظهر حصانه بالسوط
ليستحنه على الجري ، وكان الحصان
يجري بأقصى طاقته ، وأنحدر العرق
على جسد الحصان قبله ، ورغم ذلك
فقد ظل يجري في طريقه بين الجبال
والسهول ، مستجيباً لأمر صاحبه . .

كان واضحاً أن الفارس الذي
يضرّب حصانه يحمل سراً خطيراً لا
يحتمل التأجيل . .

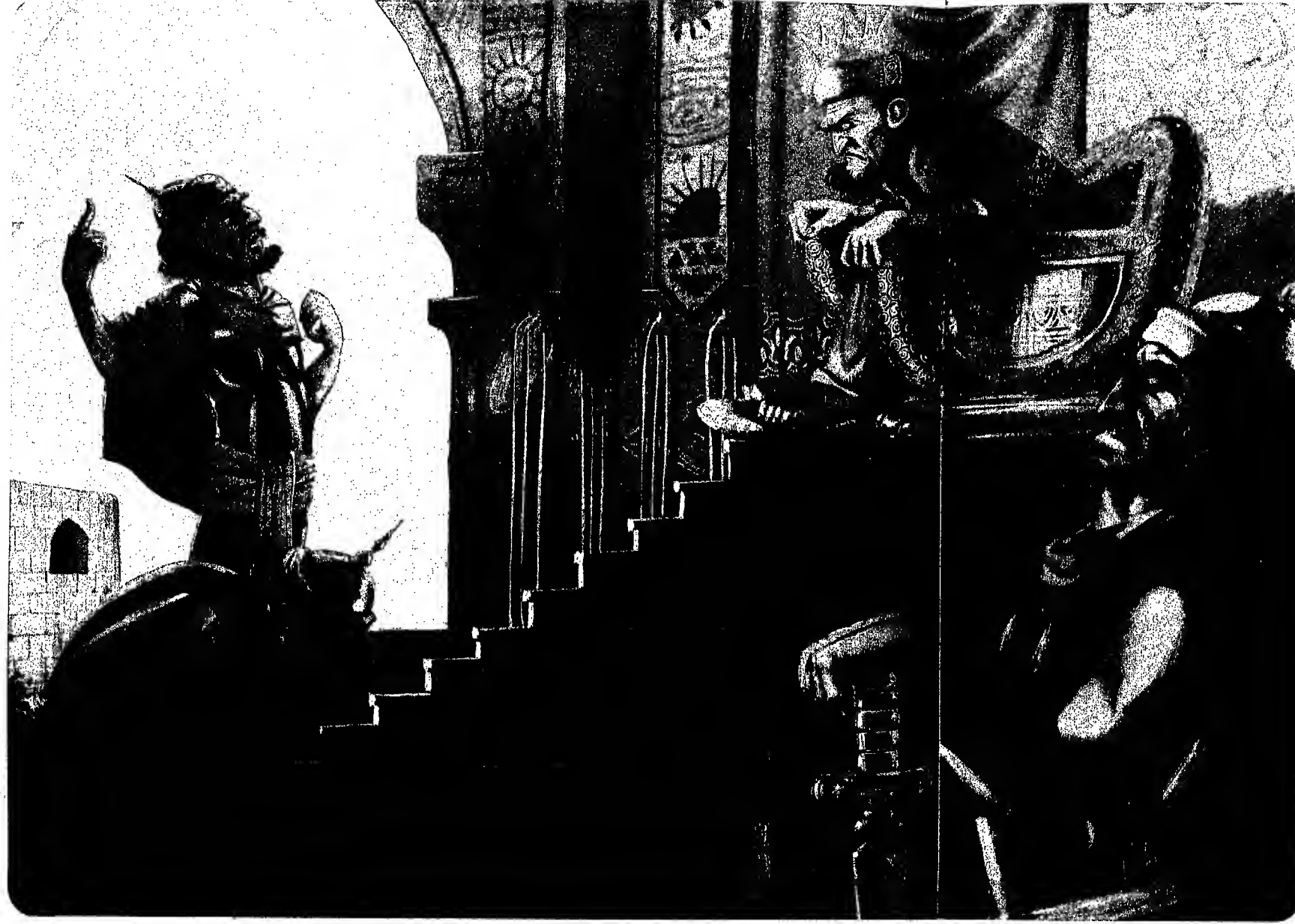
بعد رحلة شاقّة وصل الفارس إلى
أسوار المدينة . . وكانت الشمس
تنحدر نحو الغروب ، وانتشر اللون
الورديّ الأحمر في السحاب وانعكس
على وجوه السائرين في الطرقات .

ولم يقلل الفارس من سرعته حين
وصل إلى طرقات المدينة ، وأفزع
الناس في السوق بسبب اندفاعه ،
وأوقع الحصان في طريقه بعض
أقفاص الفاكهة لبائع في السوق ،
وصرخ البائع حزناً على فاكهته التي

تحطمت تحت أقدام الحصان . .
ورغم ذلك فقد مضى الفارس يشق
طريقه بنفس سرعته حتى وصل إلى
قصر الملك .

استوقفه الحرس على باب القصر
فأخرج لهم خطاباً من جيبه وقال بلهجة
أمرية :
- معي خطاب للملك . .

أذنوا له في الدخول ، فدخل
الحديقة وترجل عن حصانه وأندفع
مُسرعاً حتى وصل إلى قاعة الانتظار في
قصر الملك .



قابله مُديرُ القصرِ وسأله ماذا يُريدُ .

قالَ الفارسُ : أريدُ رؤيةَ الملكِ
على الفورِ .

قالَ مُديرُ القصرِ : لكنك تبدو مُرهقاً
من رحلتك ، ولعلك لم تأكل منذ
الصباح ، كما أن الملكَ في اجتماع
هامٍ ولا أستطيعُ إزعاجه الآن - لماذا لا
تنتظرُ ؟

قالَ الفارسُ مُكشراً وقد بدا عليه
الغضبُ : ليس مُهماً أن أستريحَ أو
أكلَ ، إن الرسالةَ التي أحملُها لا
تستطيعُ الانتظارَ . يجبُ أن أرى
الملكَ على الفورِ . . قلْ للملكِ إن
رسولاً من نجرانٍ يحملُ أخباراً هامةً
ويُريدُ أن يراك .

ذهبَ مُديرُ القصرِ إلى الملكِ وعادَ
بعد ثوانٍ قليلةٍ إلى الفارسِ وهو يقولُ
له : ينتظركَ الملكُ في قاعةِ العرشِ
الآن . . تفضلْ معي . .

سارَ مُديرُ القصرِ وسارَ الفارسُ معه

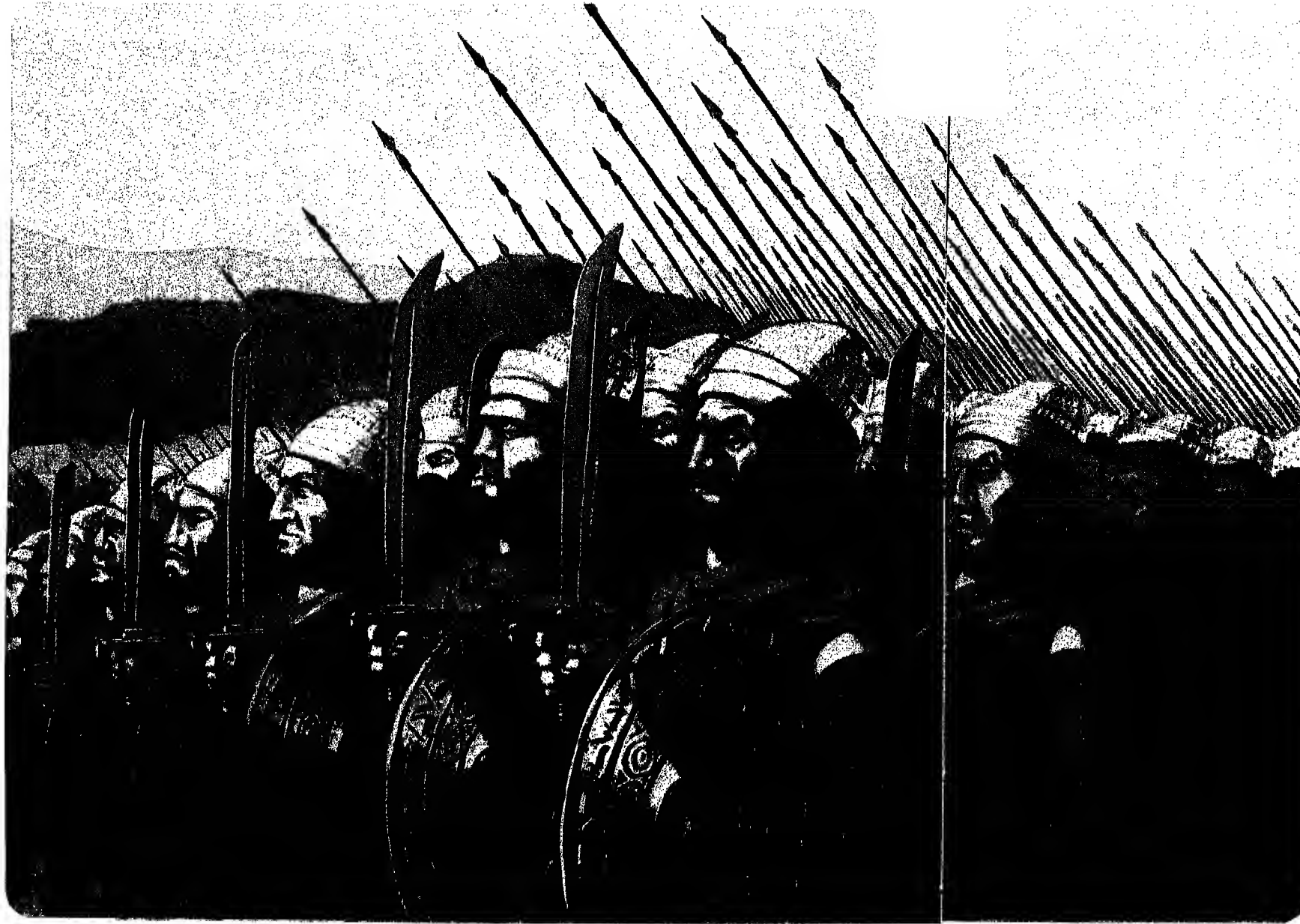
حتى وصلا إلى قاعةِ العرشِ فتأخَّرَ
مديرُ القصرِ ودخلَ الفارسُ .

آنحنى الفارسُ للملكِ وأخرجَ من
جيبه رسالةً قدَّمها إليه وهو صامتٌ . .

فتحَ الملكُ الرسالةَ وقرأها فتغيَّرَ
وجهه . . ظهرتُ عليه علاماتُ
الغضبِ ، مزَّقَ الرسالةَ وألقاها على
الأرضِ . . نهضَ من كُرسيِّ العرشِ

وأتجهَ نحو الفارسِ وقالَ له : هذه
أخبارٌ سيئةٌ . . حدِّثني عنها
بالتفصيلِ .

قالَ الفارسُ : دخلَ الدينُ الجديدُ



إلى نجران .

قال الملك : كيف يدخل الدين الجديد بغير إذن مني ؟ هذا غزو لنجران . . أكمل حديثك ، من هو صاحب هذا الدين الجديد ؟

قال الفارس : يقولون إن صاحبه نبي يسمونه عيسى المسيح . .

سأله الملك . . ما الذي يدعو إليه الدين الجديد ؟

قال الفارس : يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده .

قال الملك : من الذي دخل في الدين الجديد ؟

أجاب الفارس : دخل الوثنيون في الدين الجديد وآمنوا بالله ، ودخل فيه بعض اليهود وآمنوا بالله ، وهناك فتنة بين اليهود .

قال الفارس : تسلل هذا الدين عن طريق غلام مؤمن وجدته سادته الوثنيون لا يصلي للنخلة التي يعبدونها . . سألوه : لمن تصلي إذن ؟

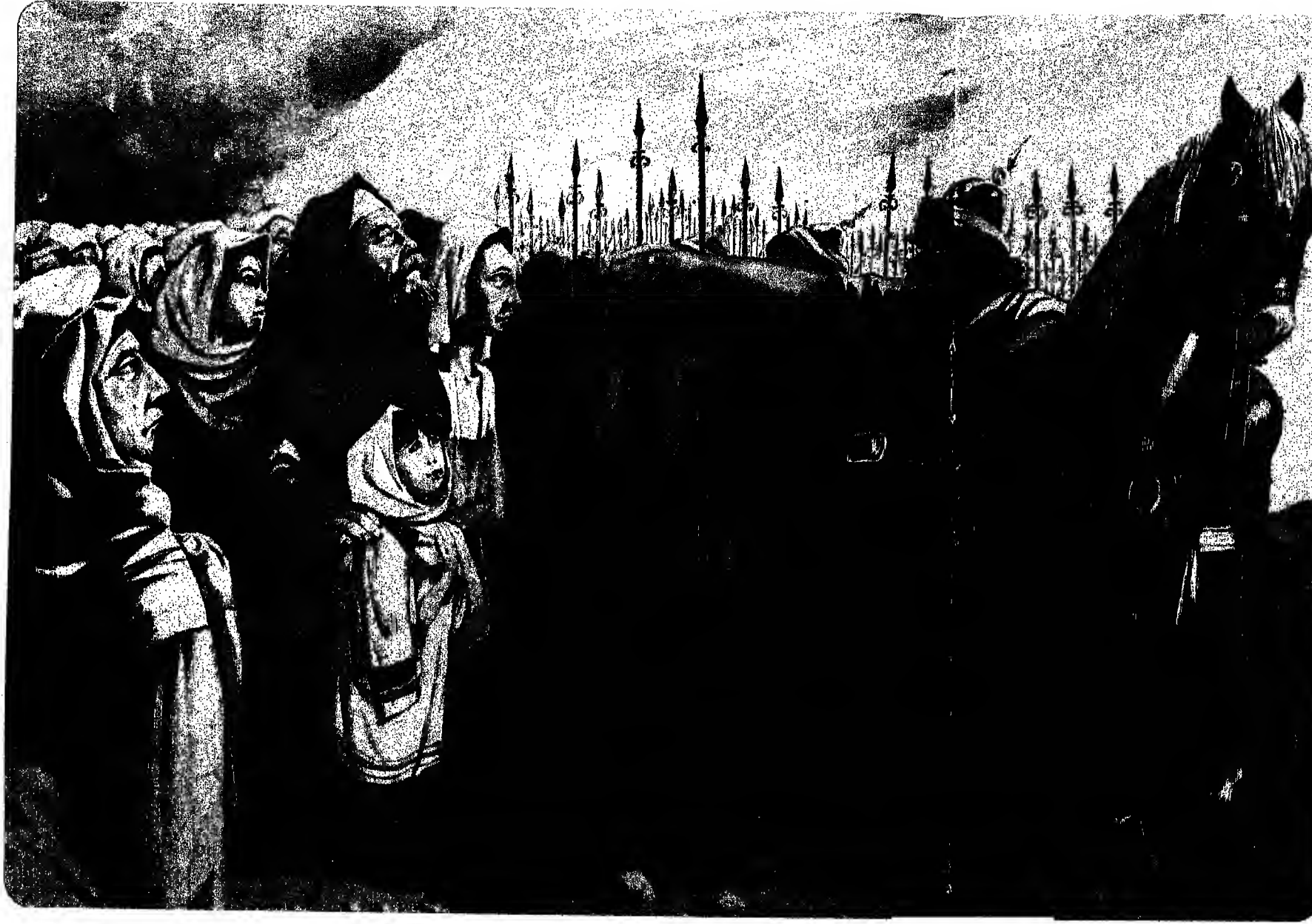
سأل الملك أخيراً ، وهو يحني رأسه ويفكر : حدثني كيف دخل هذا الدين الجديد إلى نجران . . حدثني عن المسؤول عن تسلله .

وتمنع عنا سوء .

ضحك الصبي ساخراً وقال : لا تصدقوا ذلك . . النخلة لا تستطيع أن تنفع أو تضر بل إنها لا تستطيع دفع

قال الصبي المؤمن : أصلي لله . . خالق النخل وخالق كل شيء .

قال الوثنيون (الذين يعبدون غير الله) : لكن هذه النخلة تنفعنا



السوء عن نفسها . . لو صَلَّيتَ لله لكي
تَحْتَرِقَ النخلةُ فَاحْتَرَقَتْ . . هل
تَتَّبِعُونَ دينَ المسيحِ وتُؤْمِنُونَ بالله ؟
قالوا : نعم . .

وجاءَ الليلُ على الصبيِّ وهو
يُصَلِّي . . كان يُصَلِّي ويَدْعُو . .
وتَجَمَّعَتْ في السماءِ سُحُبٌ كثيفةٌ
وَأَشْتَدَّتْ حركةُ الرِّيحِ . وآكْفَهْرُ الجوّ
وتَغَيَّرَ . . وَبَرَقَ البرقُ وَارْتَجَّتِ الأرضُ
بصوتِ الرّعدِ . . وَهَوَتْ صاعقةٌ من
السماءِ على النخلةِ فَاحْتَرَقَتْ ، وشاهدَ
الناسُ جَمِيعاً مَعْبُودَهُمْ وهو يَحْتَرِقُ ولا
يَسْتَطِيعُ أن يَدْفَعَ عن نفسه النارَ أو
يُطْفِئَ الحريقَ .

وَدَخَلُوا في الإيمانِ بالله . .

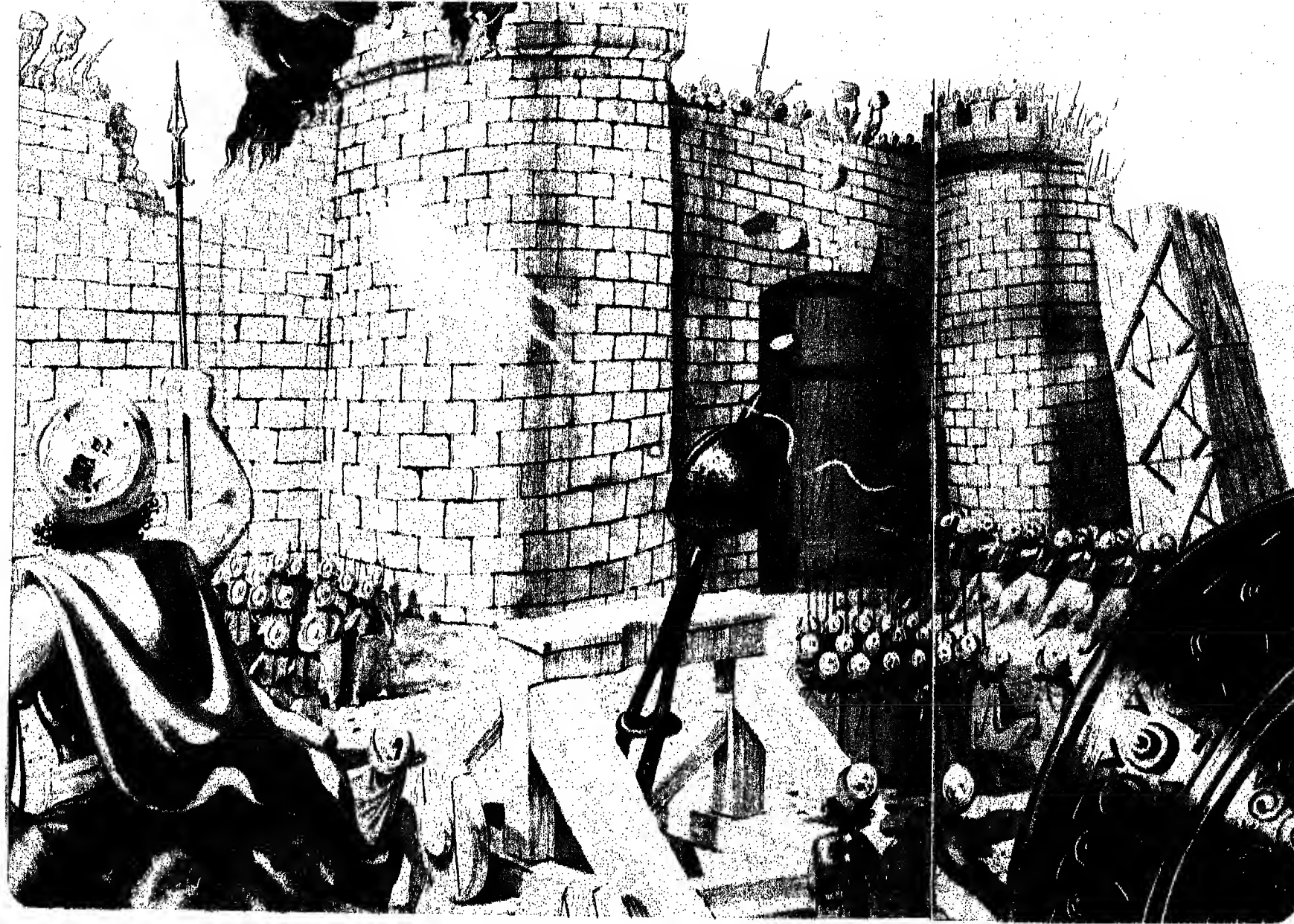
أَسْتَمَعَ الملكُ صامِتاً عابِساً لِمَا
يَقُولُهُ الفارسُ . . أَنْتَهَى من كلامِهِ
فَصَرَفَهُ . . لَمْ يَكِدِ الفارسُ يَنْصَرِفُ
حتى أَمَرَ الملكُ أن يَجْتَمَعَ مَجْلِسُ
الْوُزَرَاءِ وقادةُ الجيشِ . .

اجْتَمَعَ الجميعُ وجَلَسُوا صامِتِينَ
وتحدَّثَ الملكُ .

قال : أريدُ أن يستعِدَّ الجيشُ
للحربِ . . سنُهَاجِمُ نَجْرَانَ . . لقد
آمَنَ الناسُ فيها بدينٍ غيرِ ديننا . . آمَنُوا
بإلهٍ واحدٍ بَشَرَهُ نبيٌّ جَدِيدٌ أَسْمُهُ

المسيحُ . . يجب أن نُؤدِّبَ الذين
هَجَرُوا ديننا . .
وسوفَ يكونُ تأديبُهُم حاسِماً . .
أنفضُ الاجتماعُ وأنصرفَ كلُّ

واحدٍ إلى عملِهِ . . ودخلَ الملكُ
غُرْفَتَهُ وراحَ يشربُ الخمرَ . .
كان الملكُ يَهُودِيّاً قَساً قلبُهُ وَخَلا من
الإيمانِ والرَّحْمَةِ ، كان يَهُودِيّاً أَبْتَعَدَ



عن تعاليم موسى إلى شيء يشبه
الوثنية . . ولو أنه كان يهودياً يؤمن بالله
لما كره أن يكون هناك مسيحيون
يؤمنون بالله . .

بعد أيام تحرك الجيش . .

كانت خطة الملك أن يحاصر
المدينة حتى يستسلم أهلها ، ثم
يضعهم أمام أمر من اثنين .

إما أن يعودوا إلى ديانته بكل ما
تنطوي عليه من شوائب وثنية . . أو
يقتلهم بنار الحريق . .

كان قراره الظالم يعني تخيير
المؤمنين بين الإيمان والموت حرقاً أو
الكفر والنجاة . . وكان معنى تخييره
أنه يخير المؤمنين بين الموت حرقاً في
الدنيا ، والنجاة من حريق الآخرة ، أو
النجاة في الدنيا والهلاك في حريق
الآخرة . .

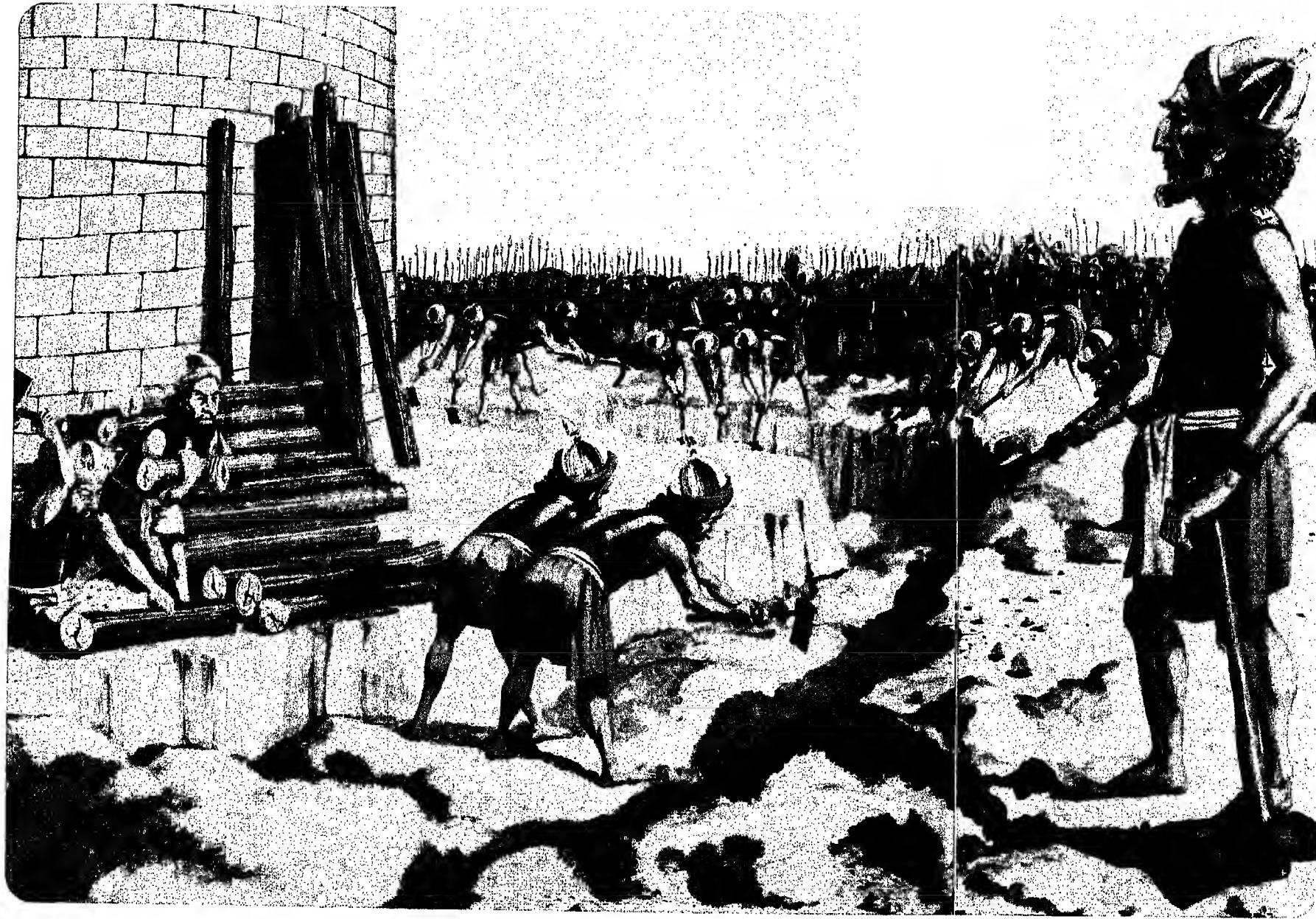
وكان الملك يظن أنه سيخيف
المؤمنين بتهديده وجيشه . .

وصل الملك إلى نجران وحاصرها
بجيشه الهائل ، وقاتل أهلها
بشجاعة ، ولكنهم كانوا عدداً قليلاً

يفتقر إلى المعدات والسلاح ،
وأنهزموا ، فدخل الملك المدينة
وأحضر المؤمنين وأوقفهم أمامه وهم
مكبلون في السلاسل والقيود وقال :

عودوا إلى ديننا وإلا قتلتم جميعاً . .
وتكلم الغلام المؤمن . .
قال : نحن ندعوك إلى الإيمان بالله
أيها الملك .

قال الملك : سأحرقكم بالنار بعد
صليكم إذا لم تعودوا إلى ديانتيكم
السابقة . . أنتم متهمون بالخيانة
العظمى . . إن اختيار دين آخر



غير ديننا يعني الخيانة .. وهي
خيانة سوف تدفعون ثمنها عذاباً هائلاً .

قال الغلام المؤمن : لن نخرج من
الإيمان بالله مهما تعذبنا .

أمر الملك جنوده بحفر أخدود
هائل في الأرض .. تم حفر
الأخدود .. فأمر الملك أن يملأوا
الأخدود بالحطب الجاف ..
ملأوه .. أمر الملك أن يبللوا الحطب
بالزيت ففعلوا .. أمر بعد ذلك بتقييد
المؤمنين وراح يضعهم في الأخدود
واحداً بعد الآخر .. حتى امتلأ
الأخدود بالمؤمنين ..

قال الملك الوثني للمؤمنين :

أمامكم فرصة أخيرة للعودة في
ديننا .. إذا رفضتم أمرت بإشعال النار
في الحطب .. ماذا تقولون ؟

لم يقل المؤمنون شيئاً .. كان حفر
الأخدود بمثابة طعنة خوف نافذة
موجهة نحو القلب ..

وطوال الفترة التي استغرقها حفر

الأخدود كانت الشائعات تتطاير ،
وكان مجرد اشتغال الجنود في الحفر
عمالاً مرهباً بحق . كانت الناس لا
تسأل أبداً .

— لماذا يحفر الجنود هذا الأخدود
العظيم ؟
كان السؤال ممتنعاً وكانت الإجابة
معروفة ..

هنا سوف يحرق المؤمنون أحياء .
ما هو ذنبهم ليحرقوا أحياء ؟ ما هي
الجريمة التي ارتكبوها ليقع لهم هذا
العقاب الأليم ؟



إنهم يُؤمنون بالله .. هذا هو كلُّ
ذنبهم .. وهذه هي كلُّ جَرمِهم ..
كان هذا كلُّه معروفًا .. وكان حَفَرُ
الأخدودِ هو الرمزُ النَّهائيُّ لِلظلمِ
وَالطُّغيانِ ..

كانت كلُّ فأسٍ تَرْتَفِعُ لِتَهويَ على
الأرضِ تَرْفَعُ معها هذه الفِكرةُ
الظَّالِمةُ .
فكرةُ طُغيانِ الطُّغاةِ على
المُؤمِنينَ ..

سَكَتَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا ..
رَنَ فِي أَذْهَانِهِمْ تَهْدِيدُ الْمَلِكِ
الوثنِيِّ الظَّالِمِ ، كَانَ يُهَدِّدُهُم بِالْحَرِيقِ
إِذَا لَمْ يَعُودُوا فِي مِلَّتِهِ الْكَافِرَةِ ..
وَأَخْتَارَ الْمُؤْمِنُونَ الْحَرِيقَ .. أَخْتَارُوا
الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..

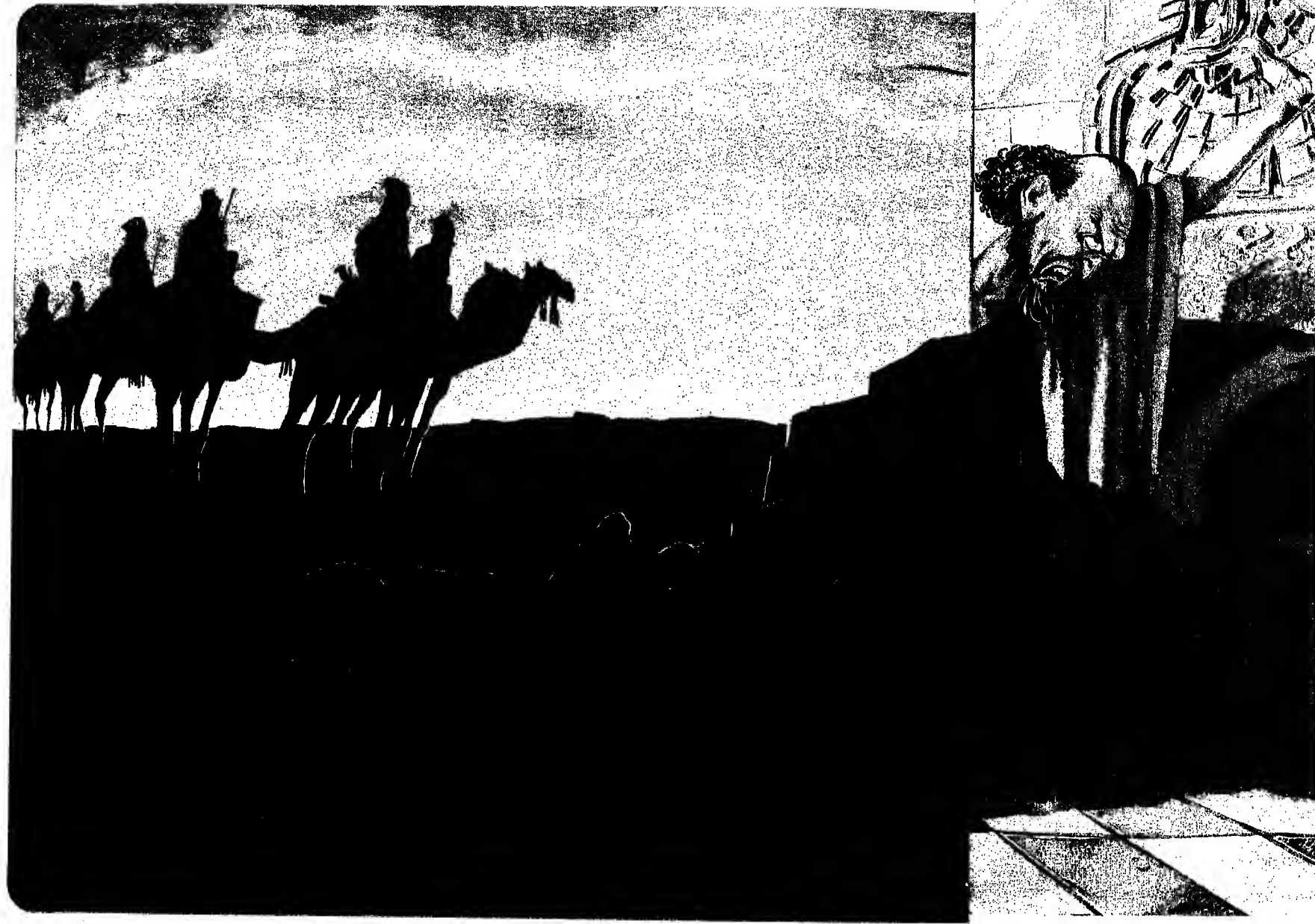
وَفِيهِمُ الْمَلِكُ أَخْتَارَهُمْ فَأَمَرَ بِإِشْعَالِ
النَّارِ فِي الْأَخْدُودِ ..

أَصْبَحَ الْمُؤْمِنُونَ الْآنَ وَسَطَ
الْأَخْدُودِ ، وَقَدْ قِيدُوا فِي الْحَبَالِ
وَسَلَاسِلِ الْحَدِيدِ ..

وَأَشْتَعَلَتِ النَّارُ وَسَطَ الْأَخْدُودِ

وَرَا حَتَّ تَتَنَقَّلُ إِلَى أَطْرَافِهِ حَتَّى
أَشْتَعَلَتْ فِيهِ كُلُّهُ ..
وَوَقَفَتِ الْقُوَّةُ الْكَافِرَةُ تَشْهَدُ عَذَابَ
الْمُؤْمِنِينَ .. حِينَ بَدَأَتِ النَّارُ تَشْتَعَلُ

فِي الْمُؤْمِنِينَ وَقَعَتْ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ،
تَصَايَحَ الْكَافِرُونَ وَهَلَّلُوا ، وَسَادَ
الْمُؤْمِنِينَ سَلَامٌ قَلْبِي عَجِيبٌ .. أَكَلَتِ
النَّارُ مَلَابِسَهُمْ وَأَكَلَتْ جُلُودَهُمْ وَمَضَتْ
تَحْرِقُ أَجْسَادَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ أَحْتَمَلُوا
الْعَذَابَ فِي صَمْتٍ وَرُضَا .. وَتَحَوَّلَ
كُلُّ مُؤْمِنٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى شُعْلَةٍ
مُحْتَرِقَةٍ تُضِيءُ وَسَطَ ظِلَامِ الْحَيَاةِ ..



أنصرف الملك من أمام الأخدود
بعد أن تأكد أن المؤمنين قد
أحترقوا . . .
كان صدره يغلي بالحق عليهم . .
ولم يكن ينقم منهم إلا إيمانهم بالله
العزیز الحميد . . كان الملك سعيداً
لأنه دمرهم ، واعتبر أنه انتصر لكبريائه
وآلهته وأرضها . .
ومرت أيام قليلة ، وسقط الملك
مريضاً لغير سبب واضح . . زاره
الأطباء من جميع أنحاء المملكة
لعلاجه ، وفشلوا في علاجه ،
وأستدعى أطباء الممالك المجاورة ،
فلم يعرفوا سر مرضه ، وفشلوا في
علاجه ، وقدمت القرابين للآلهة
الوثنية ، وراح الكهنة يسألون هذه
الأوثان شفاء الملك ، كان الملك
يتعذب عذاباً هائلاً . . لم يكن يستطيع
أن ينام من فرط الآلام التي يحسها في
جسده كله . .

كان يصرخ في قصره فيفزع الأطفال
النائمون في مدينته من هول
صرخته . . كان يرى مشهداً واحداً
أمام عينيه : آبتسامات المؤمنين وهم

يحترقون في الأخدود . .
وكانت هذه الابتسامات تملأ جسده
كله بوجع الحريق وآلامه ، ومضت
حالة الملك تسوء ، وكان الوجع يدفعه

المدينة يقول :
— هنا . . في هذه الصحراء . .
عاشت مدينة مأرب . . كان لأهلها
جنتان عن اليمين وعن الشمال . .
ثم يبدأ في رواية ما حدث . .
وهكذا تحول القوم إلى أحاديث
ترويها القوافل ، ولم يعد باقياً منهم
غير سيرتهم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لِسِيَّ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةً خُتِنَانٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُوَ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ۝ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِحَنَنِهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكُلٍ نَحْمَطُ وَأَنْثَى مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ۝ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَبَرُوا فِيهَا لَيَالِيًّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَعَلَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَرَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ